كتاب الحقوق

الباب الأول: في حق الله على العباد.

الباب الثاني: في حق العباد على الله تعالى.

الباب الثالث: في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الباب الرابع: في حق المسلم.

الباب الخامس: في حق الوالدين.

الباب السادس: في حق المولودين.

الباب السابع: في حق الزوج.

الباب الثامن: في حق الزوجة.

الباب التاسع: في حق المماليك.

الباب العاشر: في حق الأمراء.

الباب الحادي عشر: في حق الرعية.

الباب الثاني عشر: في حقوق العلماء.

الباب الثالث عشر: في حق الجار.

obeikandi.com

الباب الأول

في حق اللّه على العباد

اعلم أن الحق إذا أضيف إلى اللّه تعالى فمعناه أنه مُوجِده وَمُظْهِره أو موجبه له وحقيقة الحق على العباد ومن سواه فحقه مجاز سوى ما أوجب اللّه تعالى قضاء حقه، فحق اللّه سبحانه وتعالى على العبد ثلاثة: الأول: أن يوحده ولا يشرك به شيئا، الثاني: أن يعبده حق عبادته، والثالث: أن يطيعه ولا يعصيه.

وسأل معاذ بن جبل رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه، ما حق اللّه تعالى على العباد؟ فقال ﷺ: «لقد أحسنت السؤال، حق اللّه تعالى على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وأن يطيعوه ولا يعصوه، وأن يشكروا نعمته ولا يكفروا بها»، فكل أحد يعرف هذه الحقوق ويقضي حقها فهو مؤمن حقا يدخل الجنة صدقا، ومن أعرض عنها فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

الباب الثاني

في حق العباد على اللّه تعالى

هذه مسألة مشكلة فإن اللّه تعالى خالق الأعيان وموجد الموجودات له الخلق والأمر وليس عليه الحق، ولكن حق العبد على اللّه سبحانه وتعالى حق الكرم والوعد لا حق اللزوم والإلزام، وإنما يجوز إطلاق هذه الكلمة بوعد اللّه تبارك وتعالى وحكمه على نفسه فإنه أخبر أن الأنبياء يدخلهم الجنة ويكرمهم فلا يجوز أن يخلف وعده، وهذه المسألة سأل عنها معاذ بن جبل رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه، ما حق العباد على اللّه تعالى؟ قال: «حق العباد على اللّه أن يقبل توبتهم إذا تابوا، وأن يدخلهم الجنة، وأن يعفو عنهم».

انظر في لطف اللّه تبارك وتعالى يرزق أعداءه مع عصيانهم لـه، ويـستر عليهم، ولا يحبس رزقه عنهم لأجل كفرهم وعتوهم، فحق العباد أن يعطيهم مـا وعدهم على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبـول التوبـة والكرامـة، وإدخالهم الجنة، والتجاوز عنهم برحمته ومنّه ولطفه وكرمه.

الباب الثالث

في حق رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم

وحقه أن يطيعوه في أوامره ونواهيه، ويحافظوا على سنته ومراسمه، وأن يحبه فوق محبة نفسه. قال رسول اللّه ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده ومن الناس أجمعين»، ومن وقف على مآثر رسـول اللّـه ﷺ، وشفقته على عصاة أمته وحسن آثاره في دين اللّه؛ فيؤثره على محبـة نفـسه بنفسه؛ لأنه رسول اللّه مبلغ عن اللّه من بين عامة خليقته، أول من تنشق عنـه الأرض. وأول شافع ومشفع. وهو صاحب اللـواء المعقـود والمقـام المحمـود والحوض المورود، ومن حقه أن ترضى برضاه، وتغضب بغضبه، وتحب أولياءه وأبناءه وأهل بيته، وتعادي أعداءه، وتكرم ورثته من العلماء والفقهاء.

ومن حقه أن تصلي عليه إذا ذكر بين يديك لا سيما ليلة الجمعة، ومن حقه أن تزور قبره بعد موته لقوله ﷺ: «طوبى لمن زارني ورأى من رآني»،[1] ومن حقه أن تحب أصحابه وتثني عليهم فإنهم خير أمته، إلى غير ذلك.

---

(١) قلت: ولعل في الحديث دليلاً على أن من رأى النبي ﷺ ولو في المنام فهو من أهل طوبى، ووعده الله بالثواب والأجر؛ لقوله ﷺ في حديث آخر: «من رآني في المنام فقد رآني فـإن الشيطان لا يتمثل بي»، ولك أن تقول: وهل يشترط في الراثي لمن رأى مَنْ رأى النبـي ﷺ أن يعلم بكونه رأى النبي ﷺ منامًا أم لا؟ والظاهر فقهًا: لا يشترط. والحديث عام في الرؤية البصرية والمنامية. انتهى. المحقق.

الباب الرابع

في حق المسلم

«حق المسلم على المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويصلي عليه إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، وينصحه إذا غاب، ويشمّته إذا عطس» . هذا لفظ الحديث، ومدار الباب أن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، «والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، «والمؤمن من أمن جاره بوائقه»، فإن شئت أن تكون مؤمنا حقا فأحب لأخيك ما تحب لنفسك، وقال ﷺ: «أربع من كن فيه فهو خير البرية وهو بريء من الأهواء: من يعين المحسن على إحسانه، ويفرح بتوبة التائب، ويدعو للمذنب، ويستغفر للمصر»، ويترك الخيانة والكذب لقوله: «يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب»، وتحب للناس ما تحب لنفسك من الخير، وتكره لهم ما تكره لنفسك من الشر، والمروءة في الحضر والسفر لقوله ﷺ: «المروءة في ست خصال: ثلاثة في السفر وثلاثة في الحضر، أما اللواتي في الحضر: فقراءة كتاب اللّه تعالى، وعمارة مساجد اللّه تعالى، واتخاذ الإخوان في اللّه تعالى. واللواتي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق مع الأصحاب، والمزاح في غير معصية اللّه تعالى»، فمن قام بهذه الشرائط فهو مؤمن حقا، واللّه أعلم.

الباب الخامس

في حق الوالدين

اعلم – أيدك اللّه – أن اللّه سبحانه وتعالى قرن حق الوالدين بحق نفسه، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال رسول اللّه ﷺ: «رضا اللّه في رضا الوالدين، وسخط اللّه في سخط الوالدين»، وقال رجل: «يا رسول اللّه، من أبر؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم

من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أباك». وقال: «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه»، فلو أعطى أباه جميع ماله وخدمه عمره وأنفق جهده في رضاه، لكان حق الأب أعظم وحق الأب ذرة في جنب حق الأم، فالجنة تحت أقدام الأمهات، فمن بر والديه زاد اللّه تبارك وتعالى في عمره.

فأبشروا يا معشر الأبرار. وقال اللّه سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: «يا موسى وَقِّرْ والديك؛ فإن من وقر والديه مددت في عمره، ووهبت له ولدا يبره، ومن عق والديه قصرت في عمره ووهبت له ولدا يعقه»، والنظر إلى الوالدين عبادة، عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - أن رسول اللّه ﷺ قال: «ما من بار ينظر إلى والديه نظر رحمة إلا كتب اللّه له بكل نظرة حجة مبرورة، قالوا: وإن نظر كل يوم مائة مرة؟ قال: نعم، اللّه أكبر وأطيب». وقال: «من قبل بين عيني أمه كان له سترا من النار»، فمن حقهما أن يطيعهما ولا يقل لهما أف وينفق عليهما إذا أعسرا، ويزوج أباه إن احتاج، وجاء رجل فقال: يا رسول اللّه هل بقي عليّ من بر والديّ بعد موتهما شيء أبرهما به؟ قال: «نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهذا الذي بقي عليك»، ومن حقهما أن تزور قبرهما، قال رسول اللّه ﷺ: «من زار قبر أبويه في كل جمعة غفر اللّه له وكتب له براءة»، ومن حقهما قضاء دينهما إن كان عليهما دين، ومن حقهما مواصلة أصدقائهما، وكان عليّ وعمر - رضي اللّه عنهما - في الطواف فإذا أعرابي معه أمه يحملها على ظهره ويرتجز ويقول:

أنا لا أزال مُطيِّهَا لا أنفر وإذا الركائب ذعرت لا أذعر

وما حملتني ووضعتني أكثر

لبيك اللهم لبيك، فقال عليّ: مر بنا يا أبا حفص ندخل في الطواف لعل الرحمة تنزل فتعمنا، فدخل يطوف بها ويقول:

أنا لا أزال مطيِّها لا أنفر

وعليّ ﷺ يجيبه:

إن تبررنها فالإله يشكر يجزيك ربي بالقليل الأكثر

وكيف أحصي شيئا لا نهاية له، واللّه أعلم بالصواب.

الباب السادس

في حق المولودين

فليعلم العقلاء أن الولد الصالح نعمة من اللّه تعالى وموهبة وكرامة، فكل من ولد له ولد ذكر أو أنثى فعليه أن يحمد اللّه تعالى على أن أخرج من صلبه نسمة مثله يدعو اللّه تعالى وينسب إليه، فيعبد اللّه تعالى مثل عبادته. فمن حقه أن يؤذّن في أذنه حين يولد، ويسميه بأحسن الأسماء كعبد اللّه وعبد الرحمن، ولا يسميه خلف ويسار ويربوع وكلب، ويحنكه بتمر فإن لم يجد فبحلو مثله، وَيَعَقُّ عن الغلام بشاتين، وعن الجارية بشاة، ويحلق شعر رأسه الذي ولد عليه، ويختنه، ويعلمه كتاب اللّه وسنة رسوله، وأقاويل السلف ولسان العرب، وأن يرشده إلى أحمد المكاسب، ويجنبه قرناء السوء، ومقالات الملحدين. وقال رسول اللّه ﷺ: «مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها في عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع». ويؤدبه إذا أساء، قال رسول اللّه ﷺ: «لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع». وقال عمر ﷺ: رحم اللّه رجلا أنجز يتيما بلطمة. فإذا بلغ فليزوجه امرأة، فإن ترك ذلك فأتى بإثم وخطيئة فإثمه على أبيه. قال رسول اللّه ﷺ: «من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه، فإذا بلغ فليزوجه، فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثما فإنما إثمه على أبيه». وقال: «من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وأدبهن دخل الجنة». وقال: «من كان له بنات ينفق عليهن حتى يبدن أو يمتن كن له حجابا يوم القيامة من النار»، واللّه أعلم.

الباب السابع

في حق الزوج

قال رسول اللّه ﷺ: «حاملات والدات رحيمات لولا ما يأتين إلى أزواجهـن دخلت مُصَلِّيَتُهُنَّ الجنة». وقال: «أيما امرأة بات زوجها وهو عنها راضٍ دخلـت الجنة». وقال لامرأة: «كيف أنت لزوجك؟ قالت: يا رسول اللّه لا آلـوه، فقـال: أحسني فإنه جنتك ونارك». وقالت امرأة: ما حق زوجي عليّ؟ قال: «لو دخلـت عليه وهو يسيل دما وقيحا فلحسته بلسانك ما أديت حقه». وقال معـاذ: سـمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «أيما امرأة أدخلت على زوجها غما في أمر النفقة أو كلفته ما لا يطيق لا يقبل اللّه منها صرفا ولا عدلا إلا أن تتوب، وأيما امرأة لحست من جانب أنف زوجها دما والآخر قيحا ما أدّت حق زوجها». وقال: «لو كان لأحد أن يسجد لأحد من دون اللّه لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

وحق الزوج تسعة أشياء: «أن لا تخرج من بيته إلا بإذنـه، وأن لا تمنـع نفسها منه إذا كانت طاهرة، وأن لا تخونه في ماله، وأن تشاركه فـي الـدعاء، وتكرم أقرباءه، وأن لا تؤذيه بلسانها، وأن تعينه فيما أمكن، وأن لا تمن بمالهـا عليه، ولا تمنع مالها منه»، واللّه أعلم.

الباب الثامن

في حق الزوجة

قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عَوَارٍ عنـدكم أخـذتموهن بأمانة اللّه تعالى، واستحللتم فروجهن بكلمة اللّه تعالى».

وحق المرأة ثمانية: أن ينفق عليها، ولا يغيب عنها أكثر من أربعة أشهر،

ولا يضربها إلا في شأن المضاجع، ولا يجامعها في دبرها، ولا يظلمها في صَدَاقها، ولا يمنعها من زيارة أبويها، وأن يوسع عليها في النفقة، وليعلمها أمر دينها من الصلاة والصيام وأحكام الحيض، واللّه أعلم.

الباب التاسع

في حق المماليك

لقد وصّى اللّه تبارك وتعالى عباده في حق المماليك، ووصى بهم رسول اللّه ﷺ أمته، وكان آخر ما تكلم به رسول اللّه ﷺ: «اتقوا اللّه تعالى فيما ملكت أيمانكم» فأول ذلك أن لا يقول: عبدي وأمتي، بل يقول: فتاي وفتاتي. قال رسول اللّه ﷺ: «لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، فكلكم عبيد اللّه تعالى، وكل نسائكم إماء اللّه، وليقل غلامي وجاريتي»، ثم لا يكلفه ما لا يطيق، ولا يجوعه، ولا يعذبه، فإن فعل فاللّه خصمه، ولا يضربه بما يهلكه إلا أن يصيب حدا فيقيمه عليه، ولا يغلظ له بالقول، والأفضل أن يسوي بين طعامه وطعام رقيقه وكسوته، فإن لم يفعل فطعامه وكسوته بالمعروف.

وقال الشافعي ﷺ: تفسير المعروف مثله في بلده الذي يكون به، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة رجل سيئ المَلَكَة[1]، ملعون من ضار مسلما أو مَاكَرَهُ»[2] وقالوا: يا رسول اللّه، كم نعفو عن العبد في اليوم؟ قال: سبعين مرة، وقال: «ويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للغني من الفقير، وويل للضعيف من الشديد»، وسئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن، فقال: إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فبيعوها ولو بضفير - وهو الحبل.

---

(١) أي: الخلق والسجية.
(٢) أي: مكر به واستعمل المكر بسوءٍ معه.

فصل: ثم إن الشرع أكد حقوق السادة، فقال: «أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة» وقال: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يرتفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو» والله ولي الإعانة وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباب العاشر

في حق الأمراء

اعلم أن طاعة الأمراء لازمة واجبة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء: ٥٩] قرن طاعة الأمراء بطاعة نفسه ورسوله. وقال رسوله الله ﷺ: «أطيعوا ولو عبدا حبشيا» وقال: «أطع كل أمير وصلِّ خلف كل إمام، ولا تسبن أحدا من أصحابي». وقال: «الإمام منك بمنزلة الوالد فلا تضربه إن ضربك، ولا تسبه إن سبك». وقال: «من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى فقد أكرم الله، ومن أهان سلطان الله فقد أهان الله تعالى».

وحسبك بهم فخر، وناهيك بالولاية عظمة قوله ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة»، والأمير والوزير والرئيس المطاع والقاضي المتمكن كلهم مستحقون الأمر والطاعة على الرعية، وتكون طاعتهم أقرب من قُرْط الأذن، فمن خرج عليهم بالسيف فقد فسق فإن عاد وتاب فقد تاب الله على من تاب، وإن بغى وطغى وأبى فيحل قتاله: فإن أصر فتحل إراقة دمه واستباحة أمواله، فليتعجب العقلاء من هذه العظمة وهذه الخيرة، فكادت الولاية أن تكون تلو النبوة، وإذا خرجت الرعية من الطاعة عصت، وإذا ظهر له عدو فيلزمهم معاونته، وإن استقرضهم أقرضوه، وإن استعان بهم أعانوه، وإن عدل فيهم مدحوه، وإن جار عليهم صبروا إلى أن يفتح الله تعالى لهم فرجا وتَتُلَ الأيامُ دولتَه، ومن حقه أن تكرم خدمه وعماله، ويوصلوا إليه الحقوق الموظفة، والمرافق المقننة، ويحسنوا إليه قولا وفعلا.

الباب الحادي عشر

في حق الرعية

اعلم أن الرعية عيال اللّه سبحانه وتعالى، واللّه تبارك وتعالى خصمهم. قال ﷺ: «من آذى مؤمنا فقد آذى اللّه تعالى». وقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا وكلكم راع وكلكم مسئول». قال ﷺ: «يقول اللّه تبارك وتعالى يوم القيامة: يا رعاة السوء، أكلتم السمين، وضيعتم الهزيل، اليوم أنتقم منكم». وقال: «من ولي من أمر الناس شيئا فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب اللّه عنه يوم القيامة».

اعلم أن حق الرعية أن يكف السلطان عنهم الظلم من خاصة نفسه ومن عماله، ويؤمن السبل، وينصف المظلوم، ويعين ذا الحاجة، ولا يحتجب عنهم، ولا يول عليهم من أبغضوه، فيبغضونه ببغضهم إياه، ويستن فيهم بالسنة المحمدية، ويسير فيهم بالسيرة العُمَرِيَّة، وتمام الشفقة أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فعلى الوالي والوزير والرئيس وظائف لابد من قضائها ممن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر، ومن أعطى النفس هواها وأرداها في مهواها فتلك شقوة بلغت مداها، فالمسكين هالك من أصحاب مالك[1]، فالظالم يخرب بيته ولا يشعر ويجني على أولاده ولا يعلم، ويضرب على قدميه ولا يحس، فدع ذكر اللئام من الحساب، فأول الوظيفة: أن ينزل نفسه منزل الرعية، وكل ما يحب لنفسه يحب لهم، وكل ما يكره لنفسه يكره لهم، فإن كان بخلاف ذلك فهو خائن، والخائن جائر.

والثانية: أن ينتظر مجيء أرباب الحاجات، ولا يستخف بهم، «فإن قضاء

---

(١) مالك: هو ملك من ملائكة الله يدعى خازن النار.

حاجة المسلم خير من سبعين حجة مبرورة وسبعمائة ركعة نافلة».

والثالثة: أن لا يتعود الانهماك في الشهوات؛ فإن عاقبتها حسرات وندامة والندامة على فقد الطاعات من الإيمان.

والرابعة: أن يبني أمور السلطنة على الرفق دون العنف؛ فإن الإسلام بني على الرفق، والكفر بني على الخَرْق وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما دخل الخرق في شيء إلا شانه، فإن رفق بالرعية فسيرفق الله تعالى به ويلحقه دعاء النبي ﷺ فيا سعادة من حظي بدعائه. قال النبي ﷺ: «أيما والٍ رفق بأمتي فارفق اللهم به، ومن شدد على أمتي فاشدد اللهم عليه».

والخامسة: أن يجهد حتى يرضى عنه جميع رعيته فتكون موافقة للشرع، قال رسول الله ﷺ: «خير أئمتكم من تحبونهم، وشر أئمتكم من تبغضونهم».

والسادسة: لا يؤثر رضا مخلوق على خلاف الشرع، فإن من سخط عن قول الحق وفعل الحق فهو شيطان. قال عمر ﷺ: «أصبحت ونصف الناس عليّ غضبان، ورضا الناس غاية لا تدرك»، وما قولك في جاهل يؤثر رضا المخلوق على سخط الخالق جل جلاله؟! لا يلتفت إليه الله.

السابعة: أن يعلم أن خطر الولاية عظيم وشكرها شديد، فمن عدل واعتدل فيا سعادته، ومن جاوز وانحرف فيا شقاوته، أخذ رسول الله ﷺ بعضادتي الباب، وقال: «الأئمة من قريش ما فعلوا ثلاثة أمور: إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قالوا أوفوا»، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا. وقال: «من حكم بين اثنين وظلم فلعنة الله على الظالمين».

الثامنة: أن يكون مشتاقا متعطشا إلى لقاء العلماء ومخالطتهم، ويكون حريصا على استماع كلامهم والتبرك بأقوالهم، ونعني بالعلماء: الذين يخافون من

اللّه تعالى وينصحون عباد اللّه تعالى، منهم: شقيق البلخي دخل على هارون الرشيد فقال: عظني فقال: إن اللّه تبارك وتعالى أجلسك مجلس الصديق، ويريد منك الصدق، وأقامك مقام الفاروق ويريد منك العدل والفرق بين الحق والباطل، وأجلسك مجلس ذى النورين ويريد منك الحياء، وأجلسك مجلس علي بن أبي طالب ﷺ ويطلب منك العدل والعلم، فقال: زدني، فقال: إن للّه تبارك وتعالى دارا يقال لها الجحيم وأنت بواب تلك الدار، وأعطاك ثلاثة أشياء: مال بيت المال، وسوطا، وسيفا، وقال لك: أيها العبد المأمور ادفع الخلق عن هذه الدار بهذه الأشياء، فمن جاءك من المحتاجين فلا تبخل عليه، ومن لم يطع اللّه تبارك وتعالى وخالف أمره فأدّبه بهذا السوط، ومن قتل أحدا بغير حق فاقتص منه بهذا السيف، قال: زدني، قال: أنت البحر وهم الأنهار، إن صفوت صفوا، وإن كدرت كدروا.

التاسعة: أن يأخذ على أيدي الظالمين، لا يظلم ولا يمكن أحدا من الظلم من عماله ونوابه، ولا يرضى بظلمهم، فإنه مسئول عن ظلمهم، وهم لا يسألون عن ظلمه، ومن أشقى من أحد يبيع آخرته بدنيا غيره؟! يكتسبون الدنيا بسببه وهو يعذب غدًا بذلك. وفي التوراة: إذا علم السلطان بظلم عماله فرضي به فكأنما فعله. وملوك زماننا بلوا بذلك وهم لا يعلمون، وإذا ذكروا لا يذكرون، باعوا الآخرة بدنيا العمال والحجاب والمطربين، ترى المولى على رقاب المسلمين يسومهم سوء العذاب، ويسير فيهم بسيرة فرعون وهامان.

العاشرة: أن يقلع عن التكبر إذ الغالب عليه التكبر، وهو أصل كل عيب ورذيلة فمنها يظهر الحقد والحسد والانتقام، فليتدبر في نفسه إن كان عاقلا أنه ابن التراب ومأكول التراب، وإن كان جاهلا فلا كلام معه فإنه هالك وابن هالك يصل إلى مالك[1]، فمن عفا وغفر فهو شبيه الأنبياء والأولياء، ومن تكبر وأبى فهو شبيه الأكراد والمجانين، وفي الجملة: ومن علم أنه مطلوب وعن قريب معزول لا يعجب في ولايته، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أي: مالك خازن النار عليه السلام.

الباب الثاني عشر

في حقوق العلماء

اعلم أن درجة العلماء من أمة محمد ﷺ مثل درجة أنبياء بني إسرائيل وكرامتهم عظيمة ولحومهم مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها سقم. وأوصيكم معشر الناس والملوك بالعلماء خيرا، فمن عظمهم فقد عظم اللّه سبحانه وتعالى ورسوله، ومن أهانهم فقد أهان اللّه تعالى ورسوله أولئك ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصفوة الأولياء، شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، واللّه ذو الفضل العظيم؛ وقال رسول اللّه ﷺ: «لولا العلماء لهلكت أمتي، اللهم احفظ العلماء، واعف عن الجهال، وارحم الناس». وقال: «نظرة في وجه العالم أحب إلى اللّه تبارك وتعالى من عبادة ستين سنة صيام نهارها وقيام ليلها». وقال: «من أكرم عالما فقد أكرمني، ومن أكرمني فقد أكرم اللّه تعالى، ومن أهان عالما فقد أهانني، ومن أهانني فمأواه النار، ألا وأن اللّه تعالى ليغضب للعلماء كما يغضب السلطان على من عصاه، ألا وإن اللّه ليسمع دعاء العالم قبل دعاء من دعا، ألا فاقتدوا بالعالم خذوا منه ما صفا ودعوا له الكدر، ألا وإن اللّه تبارك وتعالى يغفر للعالم يوم القيامة سبعمائة ألف ذنب ما لا يغفر ذنبا واحدا للجاهلّ». وقال رسول اللّه ﷺ: «من زار عالما فكأنما زار بيت المقدس محتسبا للّه تبارك وتعالى، ومن زار بيت المقدس محتسبا للّه تعالى حرم اللّه لحمه وجسده على النار، ومن أدرك مجلس عالم فليس عليه في القيامة شدة ولا عذاب»، وسئل رسول اللّه ﷺ : «العالم أفضل أم العابد؟ فقال: متعلم كسلان أفضل عند اللّه تعالى من سبعمائة عابد»، ثم قال: «العابد عند العلماء كالبرغوث عند الدواب» ثم قال: «العالم والمتعلم في الجنة وإن كانا مقصرين»، ثم قال: «لولا العلماء لم يقدر العباد أن يعبدوا اللّه تعالى يوما واحدا بغير تخليط، وللعلماء

شفاعة مثل أنبياء بني إسرائيل، وفضل المتعلم على سائر الناس كفضل أبي بكر ابن أبي قحافة على سائر أمتي، وكفضل جبريل على سائر الملائكة» ثم قال: أخبرني بهذا جبريل عليه السلام.

فصل: من حق العلماء أن يجلسهم في أشرف المواضع، ويوصل إليهم حقوقهم ومراسيمهم، وأن يجلس بين أيديهم، فإنه إنما يعظم العلم الذي هو صفة اللّه سبحانه وتعالى، ومنها أن يستر على زلاتهم؛ إذ لا معصوم إلا رسول اللّه ﷺ خلافا لقول الباطنية أعداء اللّه، ومنها أن يعطيهم الحلال دون المشوب، ومنها أن يتبرك بدعائهم فإنهم قدوة الشريعة، ومنها أن لا يشرع فيما بينهم في اختلاف مذاهبهم فكل امرئ أحق بشأنه، ومنها أن يتتبع حوائجهم فيقضيها، ومنها أن يتحرى إدخال السرور في قلوبهم استمالة وتعطفا لهم، ومنها أن يتقرب بمواصلتهم ومصاهرتهم، ومنها أن يتحف أولادهم استلطافا لهم، ويقدم الشيوخ منهم على الشباب، فمن إجلال اللّه إجلال ذي الشيبة المسلم. قال رسول اللّه ﷺ: «من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا فليس منا»، واللّه تعالى أعلم.

الباب الثالث عشر

في حق الجار

قال رسول اللّه ﷺ: «ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، وما زال يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه يحرم طلاقهن»؛ وفي الخبر: «أن الجار يتعلق بالجار يوم القيامة ويقول: يا رب سله لِمَ أغلق بابه دوني وحرمني رِفْدَه»، وحرمة الجوار مرعية طوبى لمن حفظها، وويل لمن أعرض عنها.

والجوار ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان، وجار له حق واحد، فالجار الذي له ثلاثة حقوق أن يكون حميما قريبا مسلما فله حق الرحم وحق

الإسلام وحق الجوار. قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] والجار الذي له حقان أن يكون مسلما جارا، والذي له حق واحد بالجوار هو الكافر، واعلم أن العقلاء يتذممون بأذى الجار، وما من رجل يصبر على أذى جاره إلا ورثه اللّه تعالى داره. قال رسول اللّه ﷺ: «من آذى جاره ورثه اللّه داره، ذهب الكرام وبقي اللئام».

كان لعبد اللّه بن طاهر أمير خراسان جارة عجوز لها ثلاثة بنات فاختل حالها واحتاجت إلى بيع دارها، فانتهى الخبر إلى الأمير فدعاها، وقال لها: لم تبيعين دارك؟ قالت: يا أمير إن بناتي قد كبرن وأريد أن أزوجهن وما لي شيء، فدعا الدَّلَّالة وقال: هؤلاء بناتي زوجيهن وعليّ جهازهن، وهيأ لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف دينار جهاز العروس.

أنشدك اللّه هل في ملوك زماننا هذا من لم يغصب دار جاره، كف عن عدوانك قليلا، واصبر على ما يقولون، واهجرهم هجرا جميلا.

حكاية: قال بشر الحافي: رأيت زبيدة في المنام قد علتها الصفرة، فقلت: ما فعل اللّه بك؟ قالت: غفر لي ربي جل جلاله، فقلت: وما هذه الصفرة التي علتك؟ قالت: مات بشر المريسي ودفن في جواري فزفرت جهنم زفرة فغيرت ألوان الموتى جميعهم وكان قدريا[1]، عفا اللّه عنا وعنه بمنه.

---

(١) القدرية: هم الذين يزعمون أن كل عبد خالقٌ لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى. التعريفات – للإمام الجرجاني – ص ١٥٢.